ترشيد استهلاك الماء والحفاظ على البيئة
في المنظور الإسلامي

أ.م.د. محمد كاظم عبد الله

كلية الإمام الكاظم الجامعة– أقسام واسط

Muhammad Kazem Abdullah
Imam Al-Kadhim University College
Wasit Departments
mohamed.kadhum@alkadhum-col.edu.iq

أ.م.د. إحسان ناصر حسين

كلية الامام الكاظم الجامعة– أقسام واسط

Ihsan Nasser Hussein
Imam Al-Kadhim University College
Wasit Departments
ihsan.naser@alkadhum-col.edu.iq

أ.م.د. جعفر صادق عبد الأمير

كلية الامام الكاظم الجامعة / أقسام واسط

Jaafar Sadiq Abdel Amir- Imam Al-Kadhim University College / Wasit Departments
lecwasit59@alkadhum-col.edu.iq

الملخص

الماء أصل الحياة وعمادها، وأهم مكون من مكوناتها ، وقد نشأت الحياة منذ البداية وستبقى إلى وقت الساعة مرتبطة بالماء وارتبط استقرار الناس على وجه الارض وازدهار الحضارات بالماء و ارتبط بعبادات الانسان اذ جعله الشرع وسيلة للنظافة والطهارة ونظرا لأهمية الماء جعله الله عز وجل حقا شائعا بين العباد جميعا فالانتفاع به حقا للجميع دون إفساد وإسراف فلا يجوز لأحد أن يحتكره أو يمنعه عن الاخرين المتبع لتعاليم الاسلام والقارئ لنصوص القران والسنة النبوية الشريفة يستطيع ان يدرك مدى اهتمامه بالبيئة وعناصرها اذ يعد الاسلام الرائد الاول الذي يدعوا للحفاظ على المياه الذي أصبح موضوعا مهما اليوم تنادي به الحكومات والمنظمات الدولية نجد الاسلام له السبق في إقرار مبادئ ترشيد استهلاك المياه باعتبار أن الإسراف والتبذير بهذه النعمة من أهم عوامل الخلل والاضطراب في منظومة التوازن الكوني المحكم فالإسراف والتلوث يعتبر سببا من أسباب تدهور البيئة واستنزاف عناصرها ولأهمية المياه وقف الاسلام ضد التلوث والهدر في استعماله سواء لأغراض الشرب

أو الزراعة والصناعة، فقد تعددت الاخلاق التربوية التي جاء بها الاسلام والتي تهدف إلى المحافظة على البيئة وترشيد استهلاك الماء فنحن اليوم بأمس الحاجة الى هذه التوجيهات التي تنهى عن الفساد في الارض نظرا لما تتسم به حياتنا المعاصرة من هدر وإسراف وإفساد في عناصر الطبيعة فاذا كان هدي الاسلام وتعامله مع الماء في شؤون العبادات والنظافة والطهارة يحتاط في اسرافه ويقتصد به ويحافظ عليه من التلوث والضياع فالأجدر بالإمة الاسلامية اليوم ان تحترم هذه النعمة ولا تهدره دون وعي ومعرفة ولاشك ان تصرفات البشر وسوء استخدام المياه وتلويثها والإسراف فيها قد يكون سببا لندرة المياه واهدار هذه النعمة الربانية .

كلمات مفتاحية: الماء- ترشيد- تلوث- استهلاك- الإسلام.

Summary

Water is the origin and mainstay and the most important of ،of life its components. Life arose from the beginning and will remain linked to water until the present time. The stability of people on the face of the earth and the prosperity of civilizations are linked to water and it is linked to as the Sharia ،human worship made it a means of cleanliness and purity. Given the importance God Almighty made it a ،of water common right among people. For benefiting from it is ،all servants a right for everyone without corruption or extravagance. It is not permissible for anyone to monopolize it or prevent it from others. The follower of the teachings of Islam and the reader of the texts of the Qur'an and the noble Sunnah of the Prophet can realize the extent of his interest in ،the environment and its elements as Islam is considered the first pioneer that calls for the which has ،preservation of water become an important topic today. By governments and organizations we find that Islam ،Internationally takes the lead in approving the principles of rationalizing water considering that ،consumption extravagance and squandering of this blessing is one of the most important factors of imbalance and disturbance in the system of tight global balance.

Extravagance and pollution are considered one of the causes of environmental deterioration and depletion of its elements. Due to Islam ،the importance of water stands against pollution and waste

he should be careful ،and purity be economical ،about wasting it and protect it from ،with it pollution and loss. It is better for the Islamic nation today to respect this blessing and not waste it without awareness and knowledge. There is no doubt that ، misuse of water،human actions pollution and extravagance of it may be a reason for water scarcity and wasting this divine blessing.
Keywords: water - rationalization - pollution - consumption – Islam

whether for drinking ،in its use purposes or Agriculture and industry. There are many educational ethics brought by which aim to preserve the ،Islam environment and rationalize water we are in ،consumption. Today dire need of these directives that given ،prevent corruption on earth and ، extravagance،the waste corruption of the elements of nature that characterizes our contemporary life. If this is the ،guidance of Islam
And in his dealings with water in cleanliness ،matters of worship

المقدمة

الحمد لله حق حمده والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد...

فإن قضية ترشيد استهلاك الثروة المائية قضية حساسة؛ لأنها مرتبطة بالحياة واستمرارها على الارض فائدة الماء غير مقتصرة بالإنسان وحده، وإنما لكل المخلوقات على سطح الارض فهو نعمة الله تعالى التي يصعب الاستغناء عنها، فبدونه لا يوجد مظهر من مظاهر التقدم والحضارة إذ يعدّ ثروة لا تقدر بثمن وقد تعرضت هذه الثروة للتلوث والفساد منذ عقود من لدن الانسان لأنه أسرف بإشباع احتياجاته الخاصة مما أدى الى تهديد البيئة من خلال نشاطاته المختلفة التي باتت تهدد الحياة برمتها، فالحفاظ على تلك الثروات مسؤولية مشتركة يتحملها الجميع كل من موقعه، فالبعد الاخلاقي الذي رسمه الاسلام في التعامل مع الثروة المائية مسألة ضرورية من اجل استقامة الحياة وسير نظام الكون سيرا محكما ملتزما بأسبابه ومسبباته، وعلى البشر أن يدركوا أن المالك الحقيقي للكون هو الله عز وجل، وأننا مستخلفون فيه من قبله تعالى، فلابد لهم أن يراعوا القوانين الخاصة بحماية هذا الكون والتي فرضت من قبل الخالق عز وجل، واذا ما فهم العباد حقيقة الأوامر والتوجيهات الدينية التي تؤكد على ضرورة حماية البيئة وعناصرها من التلوث وتجسدت هذه الأوامر والتوجيهات في

سلوكهم لعاشوا حياة طيبة في ظل بيئة جميلة وصحية خالية من التلوث والفساد، لذا فإن الإسلام حرم التلوث وعدّه فسادا في الأرض بسبب الضرر بالموارد الطبيعية التي خلقها الله تعالى لنفع الإنسانية، فحماية المياه من مقاصد الشريعة التي يجب على كل مسلم الالتزام بها، وان يتقوا الله في عناصر البيئة، فلا يعتدوا عليها بإسراف وتبذير وتلوث في استخدامها تعاليم الشريعة تسعى لتحقيق مصالح العباد من خلال جلب المنافع ودرء المفاسد واغلب قواعد الفقه تبين أن درء المفاسد مقدم على جلب المنافع وتلويث المياه من المفاسد فمن المهم الأخذ بالوسائل التي تساعد على حفظ المياه من التلوث والضياع والاستعانة، بتقنية الترشيد في البيوت والمزارع والمؤسسات، فذلك خير من هدرها إذ أصبح الحصول على المياه الصالحة للشرب من أهم متطلبات الحياة إذ إن مشكلة تلوث مياه الشرب من أهم المشكلات الصحية والبيئية التي تهدد الحياة لأهمية الموضوع والذي يختص بنعمة عظيمة هي أساس البقاء لجميع الاحياء لا ندرك أهميتها إلا بعد فقدانها، لذا يجب أن نحافظ عليها من الفقدان لتبقى صافية نقية لا يعكرها شيء، تم تقسيم البحث الى مبحثين تناولت في المبحث الأول نظرة الاسلام للبيئة المائية إذ اشتمل على مطلبين الأول تضمن نعمة المياه وأثرها في الحياة والمطلب الثاني تضمن دور التعاليم الاسلامية في الحد من الإسراف بالمياه، أما المبحث الثاني فشمل على كيفية استغلال الثروة المائية بالصورة الصحيحة، وكذلك تضمن هذا المبحث مطلبين الأول كان بعنوان عوامل الحفاظ على البيئة وترشيد استهلاك المياه، والثاني دور الفرد المسلم في الحفاظ على نظافة المياه من التلوث ثم بعدها الخاتمة التي اشتملت على اهم النتائج والتوصيات.

المبحث الأول / نظرة الاسلام للبيئة المائية

قد يظن البعض أن الدين الاسلامي دين عقيدة ودعوة للتوحيد فقط ليس له علاقة بشؤون الدنيا وهذا من الاغلاط الشائعة؛ لأن الاسلام دين الانسانية دين الحياة، فقد اعطى للدنيا حقها ولآخرة الخالدة حقها، فلم ينظر الاسلام للدنيا على أنها دار فناء وبالتالي جردها من العمران والنهضة والحياة، بل وصفها الشرع بأنها مزرعة الآخرة، فنصوص الدين ومصادره من الكتاب والسنة تشمل مناحي الحياة كافة وهي صالحة لكل زمان ومكان، فالإسلام دين صلاح واعمار لادين فساد واهمال، فحينما خلق الله تعالى هذا الكون أودع فيه الخيرات والثروات ثم أمر الانسان أن يستغل تلك الثروات لإعمار الارض واصلاحها من خلال تعاليم الشريعة التي تشكل منظومة متكاملة، وقد أولى البيئة

والثروة المائية اهتماما كبيرا، ووضع القواعد والتشريعات التي تضمن سلامتها وجمالها واستقرارها وتحافظ على ثرواتها المختلفة.

المطلب الأول/ نعمة المياه وأثرها في الحياة

شكّل الماء على امتداد تاريخ الإنسانية عنصرا مهما لاستقرار الحياة البشرية، فأي نقص في هذه المادة الحيوية يمس أمن واستمرار الحياة الإنسانية؛ إذ يعد الماء عاملا لظهور الحضارات القديمة التي نشأت على ضفاف الانهار والينابيع والعيون لأجل تدبير شؤونها اليومية من مأكل ومشرب مثل حضارة ما بين النهرين وحضارة النيل ...الخ، فقد استخدم الماء لتطهير الغذاء والثياب والأبدان والبيوت وكذلك للعلاج، وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم تضرع أيوب "عليه السلام" حين أصابه المرض فاستجاب الله تعالى له بالشفاء "واذكر عبدنا أيوب ...اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب" (سورة ص الآية ٤١-٤٢)

قيل اغتسل من إحداهما فبرئ، وشرب من الأخرى فروي فذهب عنه الداء (ينظر، الطبرسي (١٤٢٧هـ)- مجمع البيان في تفسير القران، ج٨، ص٢٧٨) لذا اهتم الاسلام بموضوع الماء لما له من علاقة وثيقة بأغلب العبادات وكذلك يعد نعمة ومنحة ربانية عظيمة ولهذا بين القران الكريم والسنة النبوية الشريفة اهمية هذه النعمة واكد على المحافظة عليها. نلاحظ كثير من الآيات القرآنية التي تناولت موضوع المياه سواء ما ينزل منها لسقي الشجر والدواب او ما يخزن في جوف الارض الماء بكل اصنافه يعد أصل كل شيء وسبب الوجود قال تعالى" أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُون"

(سورة الانبياء- الآية٣٠) فالأنسان حي بالماء منذ اليوم الأول لخلقه والى آخر يوم من حياته فحين سئل أبو عبدالله "عليه السلام" عن طعم الماء فقال له: طعم الماء طعم الحياة (الطبرسي- مجمع البيان ج٧،ص٦٠)

فلولا المياه لما كان على وجه الارض حياة، اذ لا حياة بدون ماء يروي عطش الانسان والحيوان والنبات، ويدخل كذلك في الصناعات المتنوعة، فاذا نضب الماء او قل ستصبح الحياة شبه معدمة ومهددة بالهلاك قال تعالى: " وَاللَّهُ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ" (سورة النحل-الآية ٦٥) حين ينزل الماء ينبت الزرع ويكسوها بخضرة ناضرة ومنظر جذاب، لذلك سمى الله تعالى الأرض من غير زرع ونبات بالميتة الجرداء؛ لأنه ليس فيها حياة، وجعل الماء سببا لإحيائها شبيهة بالحي مهتزة رابية.

فالماء من أعظم نعم الخالق التي تفضل بها على الانسان الذي لا يستطيع أن يستغني

عنه في كل مجالات حياته، فلا طعام ولا زراعة ولا صناعة ولا طهارة إلا بالماء قال تعالى: "وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا "(سورة الفرقان –الآية ٤٨)

قال ابن عاشور: "وصف الماء بالطهور يقتضي أنه مطهر لغيره إذ العدول عن صيغة فاعل إلى صيغة مفعول لزيادة معنى في الوصف فاقتضاؤه في هذه الآية أنه مطهر لغيره اقتضاء التزامي ليكون مستكملا وصف الطهارة القاصرة فيكون ذكر هذا الوصف إدماجا لمنة في أثناء المنن المقصودة "(التونسي، أبن عاشور – التحرير والتنوير من التفسير، ج١٩)

فلو نظر الإنسان الى ما هو عليه من نعم متنوعة كنعمة الرزق والصحة والمسكن والامان وغيرها لو حرم من نعمة الماء فلا تنفعه جميع النعم المذكورة؛ لأنه سيترك المال والبيوت خاوية، وقد يضحي بحياته من أجل شربة الماء التي تؤمن له الحياة، وهذا ما فعله الامام العباس (عليه السلام) حين ضحى بحياته من اجل ارواء عطش النساء والأطفال في واقعة الطف. (ينظر القزويني، محمد كاظم –فاجعة الطف ص٥٩)

قال الامام الصادق "عليه السلام" حين سؤل عن طعم الماء قال "إنه طعم الحياة" (الكليني، الكافي، كتاب الاشربة، باب فضل الماء ج١٢، ص٦٢٦)

كما أن ابن عباس "رضي الله عنه" حين ارسل ملك الروم إلى معاوية قارورة وطلب منه أن يضع فيها من كل شيء، فتحير معاوية واستعان بابن عباس فقال له ابن عباس لتملأ له ماء فإن الله عز وجل يقول: (وَجَعَلْنَا مِنْ الْمَاءِ كلّ شَيْءٍ حَيٍّ) (سورة الانبياء–الآية ٣٠) فتعجب ملك الروم واستحسنه (ينظر، الموسوي– موسوعة عبد الله بن عباس ،الحلقة الاولى –تاريخ وسيرة ،ج٥ ص٩٢)

وهذا دليل أهمية نعمة المياه وعظيم قدرها، فلولاها لما كان انسان وما عاش حيوان او نبات او زرع قال تعالى: " هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ" (سورة النحل –الآية ١٠)

فقد أكد الله تعالى انه لا يمكن للحياة أن تتطور وتزدهر من دون الماء، فالكائنات جميعها خلقت منه قال تعالى: " وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" (سورة الأنبياء – الآية ٤٦)

وهذا دليل عظمة الله وقدرته، إذ خلق الدواب جميعها من ماء لكن كل واحدة منها له شكله وحجمه ووظيفته التي يختلف فيها عن غيره، وهذه من رحمة الله تعالى أن جعل الماء بكيفية يمكن الانتفاع به.

المطلب الثاني/ دور الشريعة الاسلامية في الحد من إسراف المياه

الماء سر الحياة وهو أول المخلوقات وجودا حتى قيل إنه خلق قبل العرش ثم خلق الله تعالى العرش بعده قال تعالى: "وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرضَ فِى سِتَّةِ أَيَّام وَكَانَ عَرشُهُ عَلَى ٱلمَآءِ لِيَبلُوَكُم أَيُّكُم أَحسَنُ عَمَلا" (سورة هود – الآية ٧) "أي أن ملكه تعالى كان مستقر يومئذ على الماء الذي هو مادة الحياة " (الطباطبائي –تفسير الميزان ج١٠، ص١٥١)

كل شيء في هذا الكون عجيب ومدهش يبهر الألباب إذ قرن سبحانه وتعالى في الآية السابقة خلق الماء بخلق العرش؛ لانهما أول المخلوقات أي أن الماء مبدأ هذا العالم لانهما خلقا قبل خلق السماوات والأرض، ولم يكن تحت العرش شيء إلا الماء.

تتعدد نعم الله تعالى على العباد فهي لا تحصى منها باطنة واخرى ظاهرة ومن أجل النعم الظاهرة الدنيوية نعمة الماء فهو أصل كل نماء وعمران وحضارة، فحيثما وجد الماء وجدت الحياة، وحيثما شح الماء كان القحط والجوع؛ لأنه من نعيم الدنيا والآخرة قال امير المؤمنين "عليه السلام": "الماء سيد الشراب في الدنيا والاخرة" (الكليني، الكافي، كتاب الأشربة، باب فضل الماء، ج١٢، ص٦٢٣)، وهذا واضح في قول الله عز وجل حين بين شراب اهل الجنة وكذلك شراب اهل الجحيم قال تعالى: "مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ"(سورة محمد –الآية ١٥).

وقوله تعالى: " وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ"(سورة الأعراف –الآية ٥٠) أما صفة شراب أهل النار ذكر تعالى: "وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ"(سورة محمد –الآية ١٥) وغيرها الكثير لا يسع المجال لذكرها لكن لبيان عظمة الله ونعمه علينا في هذا الشراب الذي لا طعم له ولا لون. ولذي لا تدرك قيمته إلا حين تفقده، لذلك نهى الشرع الحكيم عن تبذيره والإسراف فيه، وقد نهى الشرع المقدس عن الاسراف ولو كان للوضوء يذكر أن الرسول "صلى لله عليه واله" مرَّ بسعد بن أبي وقاص وهو يتوضأ فقال: ما هذا الإسراف؟ فقال: أفي الوضوء إسراف؟ قال وإن كنت على نهر جار "(ابن ماجة، سنن ابن ماجة، كتاب الطهارة، باب ما جاء في الوضوء، رقم الحديث ٤٢٥)

إنَّ الاسلام وان أوجب الطهارة والغسل والوضوء لكنه بالوقت نفسه جعل الاسراف في الماء محرما قال "صلى الله عليه واله وسلم": "الوضوء مد والغسل صاع، وسياتي أقوام بعدي يستقلون ذلك فأولئك على خلاف سنتي والثابت على سنتي معي في حضير القدس" (الصدوق، من لا يحضره الفقيه ج١ص ٣٥)

كل النعم تدوم بالشكر، وتزول بالكفر والاسراف والتبذير قال تعالى: "وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ"(سورة إبراهيم –الآية ٧)

فالأمم السابقة التي أُصيبت بعقوبات وماحلَّ بها من قحط وجوع بسبب كفرهم النعم، واسرافهم بالمعاصي ولم يحافظوا عليها قال تعالى: "وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُون" (سورة النحل – الآية ١١٢)

ولأن الاسراف من مساوئ الأخلاق التي لها مردودات سلبية وتأثير في الأمة الإسلامية، فان الله عز وجل قد نهى العباد عن هذه الصفة قال تعالى: "يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ"(سورة الأعراف –الآية ٣١)

وقد حرم الشرع التبذير بكل أصنافه، ووصف فاعليه بأنهم أخوان الشياطين قال تعالى: "إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا "(سورة الإسراء –الآية ١٧)

إنَّ عاقبة الإسراف وخيمة ليس على مستوى الاشخاص فقط، بل على مستوى المجتمع بأكمله لما يترتب عليه من استنزاف للثروات والموارد البيئية، وتضيّع لنعم الله ومن هنا حثَّ الدين الاسلامي على الحفاظ على المياه وحسن استغلالها، وحرم هدرها والتفريط فيها وإفسادها؛ لأن توقف الحياة في كل صورها واشكالها متوقف عليها. قال تعالى مبينا هذه النعمة المباركة ودورها الفعال في الحياة: "وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ. وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ""(سورة ق –الآية ٩،١٠) فالماء من النعم التي يسأل عنها العبد يوم القيامة اذ قال تعالى: "ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ" (سورة التكاثر –آية ٨) النعيم هنا له معنى واسع يشمل كل النعم المادية والمعنوية ويشمل كل انواع الخير الذي ينتفع منه العباد (ينظر الطبطبائي –تفسير الميزان ج٢٠ ،ص٣٥٢) واية نعمة أفضل من الماء، فكلمة ماء اذا ذكرت تعني الحياة والزراعة والغذاء والطاقة ...الخ، فحق الانتفاع به مكفول للجميع من دون إفساد وهدر وإسراف، فلا يجوز احتكار مصادر الماء ومنعها عن الاخرين لكن سوء تصرف البشر بهذه الثروة ولإسرافه فيها تسبب في ندرتها في بعض الأماكن، مما تسبب بالفقر وانعدام الحياة فيها. لذا حرم الإسلام كل ما يضر ويفسد حياة البشر قال " "صلى الله عليه واله": "لا ضرر ولا ضرار" (محمد الريشهري –ميزان الحكمة ج٢، ص١٧٠٠) هذا الحديث يمثل قاعدة الإسلام في الأخلاق، ويبين السياج المحكم الذي بناه

الاسلام لضمان مصالح الفرد والمجتمع، فكل ما يضر بالعباد في مشربهم ومأكلهم وحياتهم نهى عنه الاسلام، ولإسراف في الماء وهدر هذه الثروة أكثر أشكال الضرر بالآخرين. عن أبي عبدالله "عليه السلام" قال: "إن القصد أمر يحبه الله عز وجل، وان السرف خصلة من احتملها لم يشكر النعمة" (الصدوق – كتاب الخصال، ص١١) باعتبار أن الاسراف والهدر من أهم عوامل الاضطراب والفساد في منظومة التوازن البيئي المتقن الذي وهبه الله تعالى للحياة على وجه الأرض، إذ يعد من أسباب تدهور البيئة واستنزاف ثرواتها مما يؤدي الى فساد البيئة وكل ما عليها من بشر ونبات وحيوان لأنها حلقة مترابطة في ديمومة الحياة.

فهذه الأحاديث وغيرها تظهر مدى الاهتمام الذي أولاه الاسلام بالمياه، والحفاظ عليه، وعدم الإسراف في استخدامه، فخيرات الكون خلقت من أجل الإنسان وهي مسخرة له لكن هذا لا يعني أن يفسد فيها ويتصرف بعبث، لأنها لجميع البشر لا لشخص معين، لذلك وضع الإسلام منهجا لصيانة هذه النعمة وحسن استغلالها.

المبحث الثاني /استغلال الثروة المائية بالصورة الصحيحة

أكد الاسلام على أهمية حماية البيئة والحفاظ على عناصرها وخيراتها، وقد أمر العباد بالابتعاد عن سوء استخدام الموارد الطبيعية؛ لأنها سبب لدمار وهلاك البيئة وثرواتها، وقد أشار القران الكريم في كثير من الآيات الى هذه النعمة –كما ذكرنا سابقا– فقضية الحفاظ على الثروة المائية من القضايا التي باتت ملحة في وقتنا الحاضر وعالمنا المعاصر؛ لما تشهده الارض من تغيرات مناخية حادة ظهرت تأثيراتها السلبية على المياه الصالحة للشرب وتلوثها ووفرتها، فالحفاظ على الثروات الطبيعية للبيئة وحمايتها مسؤولية فردية وجماعية لما فيها من نفع ليس فقط للإنسان وانما لجميع الكائنات الحية لذلك تضمن هذا المبحث المطالب الاتية:

المطلب الأول/ عوامل الحفاظ على البيئة وترشيد استهلاك المياه

إنَّ الحفاظ على البيئة والثروة المائية واجب ديني، إذ تضمّن ديننا الحنيف والسنة الشريفة العديد من التوصيات والارشادات التي من شأنها زرع الأخلاق في نفوس الناس للحفاظ على نظافة البيئة عامة والثروة المائية خاصة، فالمقصد العام للدين الاسلامي هو الحفاظ على الثروات الطبيعية في الارض قال تعالى: " هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا"(سورة هود –الآية ٦١) الآية الكريمة تؤكد على عمارة الارض ولا يكون اعمار وازدهار دون الحفاظ على ثرواتها

الطبيعية فلا يمكن بناء حضارة دون نعمة المياه.

يعدُّ الحفاظ على البيئة وترشيد استهلاك المياه امورا حيوية في عصرنا الحالي، فعلى مدى العقود الماضية، شهد العالم تدهورا بيئيا متسارعا وزيادة في استهلاك الموارد الطبيعية وخاصة المياه، مما ادى الى تأثيرات سلبية على البيئة والمجتمعات، لذا الاسلام جعل الحفاظ على ثروات الارض عبادة قال تعالى: "وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ"(سورة الاعراف– الآية ١٠) وقد عدَّ الشرع الحفاظ على الثروة المائية من الفروض الواجبة؛ لأن الناس جميعا شركاء فيها قال رسول الله "صلى الله عليه واله": "المسلمون شركاء في ثلاث: في الكلأ والماء والنار" (ابن ماجة – سنن ابن ماجة، كتاب الرهون، باب المسلمون شركاء في ثلاث رقم ٢٤٧٢) المبادئ الاسلامية في الحفاظ على الثروات المائية لم تكن ضربا من الخيال، وانما هي جزء من الفطرة التي فطر الله عليها الناس قال تعالى: " فَأَقِم وَجهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفا فِطرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيهَا لَا تَبدِيلَ لِخَلقِ الله ذلك ٱلدِّينُ ٱلقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعلَمُونَ" (سورة الروم –الآية ٣٠) إذ دعانا الاسلام الى سلامة البيئة وثرواتها، فقد نهى الرسول الاكرم "صلى الله عليه واله" عن البول في الماء لئلا يتنجس ويتلوث اذ قال: "لا يبولن احدكم في الماء الدائم ثم يغتسل منه" (البخاري –صحيح البخاري، كتاب الوضوء، باب الماء الدائم، رقم الحديث ٢٣٩) فلاشك أن تلوث هذه الثروة المهمة يؤدي الى الإضرار بالآخرين بسبب تلوث الماء بالنجاسة والامراض التي قد يحملها البول فتضر كل من يستعمل هذا الماء في الوضوء والغسل وغيرها، فقد نهى الاسلام عن كل ما يضر بالآخرين قال تعالى: "وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا"(سورة الاحزاب –الآية ٥٨) فان هذه الآية الكريمة تبين السياج المحكم الذي بناه الاسلام لضمان مصالح الناس في العاجل والآجل

فالشريعة حثت على الحفاظ على الماء وحمايته من التلوث لأن الخالق عز وجل انزله نقيا صافيا خاليا من التلوث والامراض قال تعالى: "وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا"(سورة المرسلات –الآية ٢٧) أي ماء عذب نقي (ينظر الطبطبائي –تفسير الميزان ج٢٠ ص ١٣٥) وقوله تعالى " وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا" (سورة ق –الآية ٩) دلالة على انه ماء خالي من الامراض والجراثيم.

من هنا يتضح أن فساد الماء وتلوثه انما هو من صنع البشر وسوء الاستخدام الذي أفسد البيئة وأخل بأساسها المتوازن قال تعالى: "كُلُوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ"(سورة البقرة –الآية ٦٠).

لا شك في أن الانسان مستخلف في الأرض أمينا على ثرواتها، فيجب عليه الحفاظ على تلك الأمانة، فهذه الثروات والخيرات ليست ملكا لأحد انما هي عطية الخالق عز وجل للبشر جميعا، فيجب ألا يعتدي العباد على حق الآخرين باستخدام هذه الثروة بالطريقة غير الصحيحة وغير الصحية، فالدين الاسلامي يمنع الفساد والاذى من كل جوانبه، اذ لا يغلب الاسلام مصلحة الفرد على حساب مصلحة المجتمع قال تعالى: "وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ"(سورة البقرة –الآية ٢٠٥) فالفساد شامل يدخل تحته تلوث الماء وفساده الذي قد يتسبب بمختلف الامراض فأي نقص او خلل يصيب الارض وعناصرها يضر بالإنسان والمخلوقات جميعا وقد وصف الله ذلك بقوله: "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ" (سورة الروم –الآية ٤١) فاغلب الكوارث في هذه الدنيا والامراض هي من كسب الانسان لأن بين أعمال البشر والحوادث الكونية رابطة قوية يتأثر احدهما في صلاح الآخر وفساده.

المطلب الثاني / دور الفرد المسلم في الحفاظ على نظافة الماء من التلوث

إن الفرد اذا التزم بتعاليم الدين في الحفاظ على البيئة وصيانة حقوق غيره وعدم الاضرار بها، فان من شأن ذلك أن يقلل التلوث فتنشأ بيئة صحية على أساس من النظافة والنقاء، أما إذا تخلى الفرد عن العمل بتلك المبادئ، وأصبح كل انسان يقدم مصلحته أولا من دون أي اعتبار للآخرين، فهنا الكارثة الكبرى، لذا حرّم الاسلام الضرر بكل صوره، فإن فائدة الماء والثروات الطبيعية غير محصورة بالإنسان وحده، وإنما لكل المخلوقات الحق بالاستفادة من هذه النعمة التي هي هبة الخالق تفضل بها على البشرية والتي لا تستغني عنه فلا غذاء إلا بالماء ولا زراعة أو صناعة إلا بالماء فالبلاد التي لا ماء فيها لا حياة فيها قال تعالى: " قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْراً فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ"(سورة الملك –الآية ٣٠).

إن أنعم الله عز وجل لاتعد ولا تحصى، لاسيما نعمة الماء؛ لأنها دائما حاضرة بين أيديهم فنسوا شكرها ونسوا أنها لو فقدت ولو لزمن يسير حينها يعلمون عظيم قدرة الله وفضله عليهم قال تعالى: "أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ، أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ، لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجاً فَلَوْلا تَشْكُرُونَ"(سورة الواقعة –الآية ٦٩–٧٠) وإن المتتبع لآيات القران الكريم سيلحظ أن هناك تأكيدا على قضية شكر نعمة الماء وشكر النعمة ليس بالكلمات وإنما بالعمل على حمايتها وديمومتها قال تعالى: "وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً" ً(سورة إبراهيم –الآية ٣٤)

عند التأمل في هذه الطبيعة الجميلة وثرواتها نجد أن كل انسان يجب عليه الحفاظ على

صفاء الماء ونقاء الهواء وحماية جميع الكائنات من الأذى.

إن الاسلام دين رحمة وسلام ورقي ينأى بمصادر المياه عن كل ما يكدر نقاءها ويلوث صفاءها، فمشكلة تلوث المياه من المشكلات الخطيرة التي تواجه العالم، ومما يزيد المشكلة خطورة أن الانسان نفسه سبب في زيادة هذه المخاطر من خلال نشاطاته المختلفة التي اثرت في جميع الكائنات الحية، إذ تعاني كثير من الدول من نقص في المياه النقية والصافية للشرب بسبب التلوث المائي والتي تعد من اهم المشكلات البيئية والصحية على الانسان (ينظر عبد الحسين علي- التحديات التي تواجه نوع المياه السطحية، مجلة البحوث الجغرافية، كلية التربية، جامعة الكوفة، العدد الخامس،٢٠١٢).

تشهد البيئة المائية تدهور ملحوظا ينذر بمخاطر تضر بالإنسان والكائنات الحية الاخرى من خلال ممارسة سلوكيات خاطئة وضارة بالبيئة وثرواتها الطبيعية، وكل هذه الأخطاء والتجاوزات يدفع ثمنها الإنسان فإن الإضرار المتعمد بالبيئة وإفساد الأرض يستوجب عقاب الله تعالى وغضبه قال تعالى: " كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي فَقَدْ هَوَى" (سورة طه –الآية ٨١) فما نشاهده اليوم من تلوث بيئي يمثل تحديا لتعاليم الإسلام؛ لأن الله تعالى أراد للعباد أن يعيشوا في بيئة آمنة نقية نظيفة؛ لذا جعل الإسلام الحفاظ على ثرواتها جزءا مهما من العقيدة وهذا ما وضحه الرسول الكريم "صلى الله عليه واله" بقوله: "الايمان بضع وسبعون شعبة أفضلها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق" (مسلم –صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب شعب الإيمان رقم الحديث ٣٥) والاذى يشمل كل أنواع الإيذاء التي تلوث البيئة وتضر بثرواتها وبصحة العباد ويفسد المخلوقات، فمكافحة وإماطة هذا الأذى بكل صوره يعد من الواجبات الاسلامية التي يكتمل بها إيمان المسلم وطاعته.

الخاتمة

تضمنت الخاتمة أهم النتائج والتوصيات التي توصلنا إليها خلال البحث وتشمل:

١-الاسلام جعل الحفاظ على ثروات الأرض عبادة لماله من دور في اعمار الارض وازدهارها.

٢- المبادئ الإسلامية في الحفاظ على الثروة المائية لم تكن ضربا من الخيال وانما هي جزء من الفطرة التي فطر الله عليها العباد .

٣- حين خلق الله تعالى الكون وهيئه للحياة استخلف فيه الانسان بقصد الحفاظ على ثروته وعمارة الارض لا إفسادها ونشر الضرر فيها.

٤- قد لا يتعامل الإنسان مع البيئة بأنصاف ولم يحافظ عليها فلوث مائها وهوائها فشكل ذلك خطرا على فساد البيئة وثرواتها.

٥- إن حماية الثروة المائية مسؤولية مشتركة بين الجميع وليست مسؤولية وزارة معينة وانما يستدعي من الجميع وقفة جادة للتخفيف من حدة التلوث.

٦- إننا نعيش في نظام كوني مترابط بعضه مع بعض، فكل كائن يعتمد على الآخر وعلى كافة الثروات المتوافرة فيه.

٧- إن إسراف المياه بكمية أكبر من الحاجة هي مسالة مرتبطة بسلوكيات الأفراد وثقافتهم ووعيهم.

٨-العناصر البيئية هي وحدات وظيفية للحياة الدائمة على وجه الارض والاسراف بهذه الثروة وهدرها عمل غير انساني يحاسب عليه الشرع الحكيم.

أهم التوصيات

١-التركيب السكاني في تزايد مستمر مما قد يحدث مقارنة بين عدد السكان وكمية المياه المتوافرة لذلك نحتاج الى وعي مستمر لبيان أهمية المياه ووجوب المحافظة عليها.

٢-لابد من رفع الوعي الثقافي للحد من أزمة الاسراف والهدر في المياه التي تهدد المجتمعات.

٣-تفعيل وسائل الخطاب بدءا من البيت والمدرسة والمسجد ووسائل الاعلام لتأكيد أهمية الحفاظ على البيئة وعناصرها المهمة.

٤- استخدام التقنيات الحديثة في الارواء والتي تقلل من هدر المياه وتلوثها.

٥-زراعة مساحات واسعة من الاراضي بالأشجار والنباتات للحيلولة دون تلوث الهواء وتزيد من كمية الامطار.

٦-التخلص من النفايات بطريقة سليمة وتجنب القائها في مياه الانهار لمنع التلوث وانتشار الامراض.

٧-القيام بحملات توعية للمحافظة على الثروة المائية وخاصة في المدارس والجامعات لتوسيع مدارك الناس حول حبّ الطبيعة وثرواتها.

٨-معالجة مياه الصرف الصحي قبل رميها في الانهار للحيلولة دون تلوث المياه.

٩-وضع قوانين ورقابة صارمة للحيلولة دون تلوث البيئة وهدرها وخاصة من لدن المزارعين.

المصادر

١- القرآن الكريم

٢- ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)- التحرير والتنوير تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية، تونس ،١٩٨٤.

٣- ابن ماجة، محمد بن يزيد ابي عبدالله القزويني (ت٢٧٣)- سنن ابن ماجه، ط١، دار ابن الجوزي، القاهرة ،١٤٢٢هـ- ٢٠١١م.

٤- البخاري، ابي عبدالله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم (ت٢٥٦هـ)- صحيح البخاري (دار صادر، بيروت، د.ت.

٥- الخصال، تصحيح علي أكبر الغفاري (طبع ١٨ ذي القعدة ١٤٠٣هـ).

٦- الريشهري، محمد – ميزان الحكمة (ط١، دار الحديث ،قم ١٤٢٢هـ).

٧- الطبرسي، ابي علي الفضل بن الحسن –مجمع البيان في تفسير القران، (ط١، دار المرتضى، بيروت ،١٤٢٧هـ،٢٠٠٦م.

٨- الصدوق، أبو جعفر بن علي بن بابويه القمي (ت٣٨١)- من لا يحضره الفقيه (ط٢، قم ١٤٠٤هـ.

٩- الطبطبائي، محمد حسين – الميزان في تفسير القرآن، ط١، مؤسسة الاعلى، بيروت،١٩٩٧م.

١٠- عبد الحسين علي- التحديات التي تواجه نوع المياه السطحية ،مجلة البحوث الجغرافية، كلية التربية ،جامعة الكوفة ،العدد الخامس ،٢٠١٢.

١١- القزويني، محمد كاظم –فاجعة الطف (ط١٢، العراق ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م)

١٢- الكليني، محمد بن يعقوب(ت٣٢٩هـ)، اصول الكافي (ط١، دار الحديث، قم ١٣٨٧هـ-قم)

١٣- مسلم، ابو الحسين مسلم بن الحجاج (ت٢٦١هـ)-صحيح مسلم (دار صادر، بيروت، د.ت)

١٤-الموسوي، محمد مهدي السيد حسن، موسوعة عبدالله بن عباس، الحلقة الاولى، (د.ت).